شباب
التفاهم
العدد الثالث والسبعون : ربيع الأول 1442هـ - أكتوبر 2020م
ملحق مجلة التفاهم تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

- إلى نموذج أخلاقي.. لصياغة إنسان عالمي حُر
- التنوع والاختلاف نعمة وإغناء
- الثقافة أم العلم؟
- الحركة الإنجيلية الجديدة وأبعادها
- الدعوة إلى الوحدة
- السبيل إلى المؤتلف الإنساني
- المؤسسات الدينية في نشر الحرية
- خليفة الله في الأرض وقائد السلام لنظامها
- حرية المعتقد في الإسلام
- مفهوم الخير في الفلسفة بين التعريف والتمثيل
- وَحده القصور الذاتي يهدد إنسانية الإنسان

أمَّا قبل...!

د. هلال الحجري

من الأغاني الحلوة التي يمكن للأطفال أن يترنموا بها أنشودة سهلة ولكنها عميقة عنوانها «شخص ما» للشاعر البريطاني والتر دي لامير (1873-1956). ولد دي لامير في أبريل عام 1873 في قرية تشارلتون بإنجلترا. تلقى تعليمه في مدرسة كاتدرائية القديس بولس في لندن، وبدأ مسيرته المهنية في مكاتب شركة النفط الأنجلو أميركية، التي عمل بها خلال الفترة من 1890 إلى 1908. بعد نشر أول عمل شعري له بعنوان «أغاني الطفولة» في عام 1902، تغير مجاله المهني واستطاع أن يكرس نفسه حصريا للكتابة. نُشرت روايته الأولى عام 1904، وأعقبتها مجموعة شعرية أخرى بعنوان «قصائد» في عام 1906. واصل دي لامير نشر عدد من الروايات الأخرى والمجموعات القصصية القصيرة للأطفال والكبار. وتقديرا لمسيرته الكتابية، حصل على وسام «رفقاء الشرف» من الحكومة البريطانية عام 1948، وحصل لاحقًا على «وسام الاستحقاق». توفي في لندن سنة 1956.

تبدأ القصيدة بمتحدث يصف صوت طرق على بابه، ثم يذهب لفتحه، فلا يجد أحدا هناك. هناك فقط أصوات الليل؛ فمن حوله يمكنه سماع أصوات الخنافس وهي تتسلق الحاط، وصفير صُرّار الليل، وصياح البومة، ووقع نزول قطرات الندى. ولكن هذه الأصوات لا تشبه ما سمعه وتتركه يتساءل عن الطارق.

إني سمعتُ طارقا ** يَدقُّ بابيَ الصغيرْ
إني سمعتُ طارقا ** مُؤَكَّدًا؛ فمَنْ يَزورْ؟
فتحتُ بابِيْ مُنْصِتًا ** والعينُ في المدى تدورْ
فلم أجِدْ إلا الصدى ** في ذلك الليلِ الضريرْ
والخُنْفُسا مشغولةً ** بنَقْرِ حائطي القصيرْ
وبُومةً صَيّاحةً ** في الغابِ صوتُها نَكيرْ
وجُدْجُدًا مثلَ النَّدَى ** له أزيزٌ وصفيرْ
فمَنْ أتاني طارقا ** يدقُّ بابيَ الصغيرْ؟!

hilalalhajri@hotmail.com

إلى نموذج أخلاقي.. لصياغة إنسان عالمي حُر

طالب الوهيبي

يقول الكاتب صلاح سالم: «إنَّ الأخلاق ليست قصراً على أرباب دين بذاته، بل معلم على كل إنسان قادر على التسامي إلى مستوى طبيعته الجوهرية، مستخدماً في ذلك إيمانه الروحي ولو بدين وضعي، وقدرته على الشعور بالحب اتجاه الآخرين، ولو لم يكونوا من بني وطنه أو دينه». وهي مقولة سطرها في مقالته المنشورة في مجلة التفاهم «بين الشرق والغرب، نحو نموذج فلسفي عالمي.. تعدّدي وإنساني»، والمنشور بمجلة «التفاهم».

إذ إنَّ ثمة ضرورة لصياغة مبدأ أخلاقي إنساني ليكون نموذجاً فلسفيا عالميا، قادرا على مجابهة الظواهر السلبية المتزايدة؛ كالتطرف والعنف، ونمو الفجوة بين الثراء والفقر، ومحاصراً لها لتخفيض حدة ضغوطها وشدة وطأتها على المصير البشري. ويشير الكاتب إلى أن هذا المبدأ يدور في فلك مفهوم «الخير العام الكوني»، حيث إنَّ هذا المفهوم كمبدأ أخلاقي لا يحرم أي شخص من التطلع إلى تحقيق ذاته وزيادة رفاهيته، على أن يضع المصلحة في سياق الصالح العام؛ فلا تصبح أولوية مطلقة لديه ولو سار إليها على جثث الآخرين، حتى يكون ممكناً الحديث عن مجتمع واحد.

ويرى الكاتب أنَّ هذا المبدأ الأخلاقي «الخير العام الكوني» يتجذر في شعور عميق بالمسؤولية عن المصير المشترك للبشرية، والذي ينبع بدوره من القوة الروحية المتنامية للنزعة الإنسانية، والتي ألهمت ذوي العقول الراجحة في جميع الأمم. وقد لا يكون سهلاً بلوغ المثال الأعلى لمجتمع عالمي يقوم على أساس مبدأ الخير العام، وعلى الجماعات البشرية كلها أن تسعى صوب هذا الهدف؛ كي تصيب ولو قدراً منه، لكي تتمكن من وقف الحركة في الاتجاه العكسي له؛ لأنه إذا تركت النزعة الفردية الضيقة تصل إلى ذروتها المطلقة سيكون الجميع أمام أنانية جديدة، قادرة على النيل من الآخرين بل تدميرهم.

ويوضح الكاتب صلاح سالم أن العالم أحوج ما يكون إلى إعادة بناء مُثل التنوير العليا، والتي بلغت نقطة ذروتها في النزعة النقدية وأخلاقيات العقل العملي لدى الفيلسوف كانط، وخصوصاً في مفهومه عن «الواجب الأخلاقي» الذي يتوجب تحويله إلى نص شبه مقدس عن (الواجب الإنساني المشترك). باختصار نحتاج إلى ضمير إنساني جديد، وينبع الإيمان بهذا الضمير من إيمان أصلي بوجود أخلاقية إنسانية ضرورية عابرة للأديان والثقافات، كما تقول فلسفة التنوير خصوصاً لدى روسو في تصوره الإيجابي عن الإنسان وقابليته إلى الكمال الروحي والأخلاقي، بحيث يصبح أكثر الأبواب اتساعاً على عالم الفضيلة أن يكون المرء إنسانا حقاً، فإن لم يستطع صار وغداً مهما كانت أديانه أو معتقداته. ويفسر شوبنهاور التوافق الفطري بين البشر حول مفهوم الفضيلة أو الخير العام بحقيقة «أن العالم -كتمثل- إنما يتألف من نصفين جوهريين ضروريين ومتلازمين، النصف الأول هو الموضوع، وهو ما يخضع لصورتي المكان والزمان اللذين تنشأ من خلالهما الكثرة، أما النصف الآخر -وهو الذات- فلا يقع في إطار المكان والزمان؛ لكونه يمثل كلاً مجملاً لا يتجزأ في كل موجود».

وفي الفلسفة الأخلاقية الأبرز «الكونفوشيوسية» في الشرق الأقصى من العالم، يقول كونفوشيوس: «إن الطبيعة الإنسانية مستقيمة، فإذا افتقد الإنسان هذه الاستقامة أثناء حياته افتقد معها السعادة، وإن سبيلنا إلى الأفعال الخيرة هو تمسكنا بالقانون الأخلاقي الذي يحقق صلاح الفرد والمجتمع»، وفي سياق الفكر الصيني نفسه يكمل (لاوتسو) عمل كونفوشيوس، مؤكداً أن المرء ما لم يحيَ وفقاً لقوانين الكون الداخلية التي يسميها (الثوابت)؛ فإنه ينتهي بكارثة. وبرهن فيلسوف التنوير الأكبر إيمانويل كانط بثلاثة براهين حول تحويل مفهوم الواجب الأخلاقي إلى نظرية كاملة حيث تصبح الأخلاق لديه عقلية وقبلية:

- أولها: إن كل المعاني (التصورات) الأخلاقية مصدرها أو مقرها في العقل.
- ثانيها: إن القبلية المطلقة للتصورات أو المعاني الأخلاقية هي وحدها القادرة على تأمين مكانة هذه التصورات وضمان وظيفتها بوصفها مبادئ عالية.
- ثالثها: إن الأخلاق ينبغي أن تقبل التطبيق على كل موجود عاقل بوجه عام.

وهناك من قد أخذوا على كانط نزعته الصورية/الشكلية التي أغرقت في التشدد وازدراء الحساسية والوجدان، فمن غير الممكن إنكار أهمية تلك النقلة التي أحدثها في مسيرة الوعي الأخلاقي.

ويقول الكاتب إنَّ لدى الإمام محمد عبده، الأصل الرابع من الأصول الخمسة للإسلام هو الاعتبار بسنن الله في الخلق، ويعني لديه: «ألا يعول بعد الأنبياء في الدعوة إلى الحق على غير الدليل، وألا ينظر إلى العجائب والغرائب وخوارق العادات، بل إلى سنة الله فيمن مضى ومن حضر من البشر وفي آثار سيرهم فيهم، وقد جاء في الكتاب العزيز مقرراً لهذا الأصل».

هنا.. ينظر الكاتب إلى أن النزاعات المتجذرة على الخير العام والدين كلها تصب في طور من العلمنة الفائقة (الوجودية)، والذي لا يكتفي بإزاحة الدين من المجال العام؛ بل يسعى -من دون إعلان ذلك، وأحيانا من دون وعي به- إلى نفيه من الوجدان الفردي والوجود الاجتماعي، ويدفعه عن الحق. يتناقض هذا الحق ليس فقط مع الرؤية الروحية للوجود، بل مع مبدأ الخير العام الكوني، بسعيه إلى كسر الفطرة الإنسانية، فرغم أن الاعتداء الجنسي العابر للنوع يبقى فعلاً محرماً في كل الأديان، يسمى مرتكبه (زانياً)، فتمثل كسراً للطبيعة الإنسانية يفضي إلى إفساد حركة الكون، لدافعين أساسيين:

× الأول: كونه هدما لحال العمران وتعطيلاً لمسيرة النمو البشري التي ترعاها العلاقة الجنسية الطبيعية.

× الثاني: كونه هدما للأسرة التقليدية، كنواة أثبت التاريخ أنها الأقدر على رعاية الأطفال، والأكثر فاعلية، بدءاً من القبيلة ووصولاً إلى الدولة الوطنية الحديثة.

ويقول الكاتب قد يرى بعضهم ثمة تناقض بين مبدأ الخير الكوني العام وما يمليه من التزامات؛ بوصفه قيداً على الإرادة الإنسانية، وبين النظريات الليبرالية التي ترى أن الخير العام هو مجرد حاصل لخيارات الذوات الفردية الحرة. ولو عُمل بالقاعدة الأساسية للسلوك الأخلاقي لدى كانط -وهي أن يتصرف الإنسان تجاه العالم بالشكل الذي يأمل أن يتصرف به العالم اتجاهه، وأن يسلك وكأن الآخرين جميعاً سوف يشاركونه غداً في السلوك الذي يقوم به اليوم، ثم ينظر ليرى هل حققت هذه المشاركة خير العالم أم لا؟- لإدراك الجميع خطورة إعمال مبدأ الحق المطلق في الاختلاف. هذا الحق المطلق في الاختلاف هو نفسه الذي رفعت سَيْفَه فلسفة ما بعد الحداثة، عندما رعتْ تيارات تفكيكية على مستويات عدة، وأبدت حذراً شديداً إزاء الأنساق الفكرية الشاملة. وهنا يعطينا ليوتار مثالين متناقضين في الاتجاه ومتفقين في الدلالة على تلك النزعة التفكيكية:

١- المثال الأول عن الدين، الذي يتمحور حول قصة (الإله) العليم بأحوال البشر.

٢- المثال الثاني عن الإلحاد نفسه، والذي يعده ليوتار سردية كبيرة معارضة.

وعلى هذا لا تصرح ما بعد الحداثة برفض الألوهية، أو بمعاندة الإلحاد، بل تسعى إلى التشكيك في الأسس الجوهرية التي تجعل من كليهما -الإلحاد والإيمان- سردية كبرى وإطاراً ناظماً. لذا؛ يرفض نزعتها التفكيكية التي لا تقدم حلاً حقيقياً للمأزق الإنسانية المختلفة.

ويتبدى مفهوم هابرماس عن «المجتمع ما بعد العلماني» طريقاً آخر لديه أن يتجاوز التطرف الديني والعلماني معاً، يرفض هيمنة الديني أو اللاديني، ويدعو إلى تفاعل الجميع على أرضه.

ويقترح الكاتب تغييراً في قاعدة النموذج الفلسفي للحداثة؛ كي تتمكن من استيعاب جماع الثقافات، وإن النموذج الفلسفي للحداثة قد نهض على قاعدة مكونات ثلاثة أساسية هي: العقل والإرادة والطبيعة.

وخلص الكاتب إلى أن النزعة الإنسانية ولدت في الفكر الغربي ونمت على حساب الإله، ولم تر إمكانية لصوغ إنسان حر.

talib.alwahaibi@outlook.com

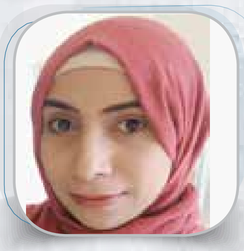

التنوع
والاختلاف نعمة وإغناء

• أحلام المنذرية

مما لا شك فيه أن الحرية من القيم الأساسية في حركة تحضر الإنسان أفرادا وجماعات؛ فنهوض الأمم وسقوطها مناط بمدى شيوع قيم الحرية في مجتمعها.. نتطرق في هذا المقال لأهم ما ورد عن محمد الناصري في مقاله «حرية الاعتقاد في القرآن الكريم الأصل المنهجي لفقه التعارف والاجتماع الإنساني»، والمنشور بمجلة «التفاهم».

ويتحدث الناصري عن أنواع الحرية الأكثر أهمية للوجود الإنساني وهي حرية الاعتقاد من حيث حرية الإنسان في أن يتبنى من المفاهيم والأفكار ما ينتهي إليه بالتفكير، أو ما يصل إليه بأي وسيلة أخرى من وسائل البلاغ؛ فتصبح معتقدات له. ومن العناصر المكونة لحرية الاعتقاد الإعلان عن ذلك المعتقد والتعبير، وحرية الممارسة السلوكية من القيام بالشعائر التعبدية، مثلا، وإقامة الاحتفالات بالمناسبات والأعياد الدينية، وما إلى ذلك من مظاهر التطبيق السلوكي، وحرية إعلامية بوسائلها المختلفة في البلاغ والنشر، ومن حرية في تجمع الناس وتجميعهم من أجل تبليغ المعتقد إليهم وشرحه لهم.

إن هذه العناصر المكونة لحرية الاعتقاد إذا ما اجتمعت اكتملت بها تلك الحرية؛ فقد تضافرت آيات القرآن الكريم على توكيد حرية الاعتقاد، قال الله تعالى: (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا)، وقوله: «قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي، فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ»، وبين طريق الخير والشر، وترك له ساحة الاختيار الحر، ولم يشأ الله التدخل لإكراه الناس على اتباع طريق الرشاد. وتؤكد هذه الآيات على حرية الإنسان خاصة فيما يعتقده، والخيار الأمثل الموافق لفطرة الإنسان وسُنن الوجود الإنساني هو ضمان حرية الاعتقاد والتدين. ولعلَّ من أعمق الآيات القرآنية دلالة وأشدها وضوحا في الاستدلال على توكيد حرية الاعتقاد وتثبيتها قوله تعالى: «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي»؛ وعليه فحرية العقيدة كما جاء بها القرآن الكريم قضية اقتناع بعد الإدراك، وليست قضية إكراه وإجبار.

ويضيف الكاتب بأنَّ القرآن الكريم أقر حرية التفكير والتعبير؛ إذ يقرِّر الله لك حرية التفكير والتعبير للناس، ويمنحهم الحرية في أن يفكروا ويعبروا بما شاؤوا. ولقد ضرب القرآن أمثلة في تقديره لحرية التفكير والتعبير، يتجلى ذلك من خلال دعوته المتكررة إلى إعمال العقل للنظر في كل شيء منها: الدعوة إلى النظر في الكتاب المنظور (الكون): (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، والدعوة إلى التفكر في الكتاب المسطور (القرآن): (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)، كما يتجلى تقدير الله لحرية التفكير والتعبير من خلال ثنائه على الذين يستخدمون عقولهم ويميزون بين الأشياء فيتبنون أحسنها في مقابل ذلك ذم الذين يعطلون عقولهم وشبههم بالدواب.

ويعد القرآن الكريم الاختلاف من الخصائص الواضحة في تكوين الاجتماع البشري؛ فهو يحدثنا عن الاختلاف والتنوع في أكثر من خطاب، بل جاءت نصوص أخرى تؤكد عليه في أمر انقسام البشر إلى مجموعات بشرية، تشكلت في أمم هي القبائل والشعوب. ففي القرآن يتحول التنوع والاختلاف من نقمة إلى نعمة وعطاء وإغناء للمسيرة الإنسانية؛ ذلك أن الناس منحدرون من أصل واحد، والاختلاف المناخي والجغرافي والديموغرافي والقومي والعرقي والديني هو الطريق إلى التعاون والتكامل والتعارف والتحاور والتعايش.

وعلى الرغم من كل هذا، نجد أنَّ بعض المفسرين قد حكموا بنسخ قوله تعالى: «لا إكراه في الدين»، بآية السيف، شأنه شأن باقي الآيات التي تؤكد حرية الاعتقاد، وأن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال، وأنها من آيات الموادعة التي نسخت، وحجتهم في ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد أكره العرب على دين الإسلام وقاتلهم، ولم يرض منهم إلا بالإسلام.

ردود على هذه الدعوى

الأول: تاريخ النزول «لا إكراه في الدين» من الآيات المتأخرة نزولا؛ مما يتعارض والقول بأنها من آيات الموادعة المنسوخة بآية السيف؛ فالظاهر أن هذه الآية نزلت بعد فتح مكة، وفتح مكة كان في السنة الثامنة للهجرة.

الثاني: إنَّ الغاية من قتال المشركين المنصوص عليها في آية السيف ليست إكراههم على الدخول في الإسلام بقوة السلاح؛ مما يدل دلالة صريحة وقاطعة على أن آية السيف ليست عامة، وأنها نزلت في خاص من المشركين كان بين رسول الله وبينهم عهد فنقضوه وظاهروا عليه أعداءه، وقد بَرِئَ الله ورسوله منهم، وآذنهم بالحرب إن لم يتوبوا عن كفرهم.

الثالث: الآية من الأحكام الكلية والقواعد الأصولية في الدين، والنسخ لا يكون في الكليات، ويدل على أن النسخ لا يكون في الكليات الاستقراء التام، وأن الشريعة مبنية على حفظ الضروريات والحاجيات والتحسينات، وجميع ذلك لم ينسخ منه شيء.

الرابع: إذ كانت آيات القرآن الكريم قد حددت بوضوح إطلاق حرية الاعتقاد وأحاطتها بسائر الضمانات؛ فلا يتوقع من السنة النبوية أن تأتي على خلاف ذلك.

إشكال قتل المرتد

ويوضِّح الكاتب المقصود بالمرتد في قوله: «من بدل دينه فاقتلوه»، المقيد بقوله: «التارك لدينه المفارق للجماعة»؛ هو الخائن للجماعة مرتكب الجرائم ضدها كإفشاء أسرارها للأعداء، أي ما يعادل الخيانة العظمى في القوانين الدولية. يأتي هذا الإشكال أي إشكال قتل المرتد ليمثل حلقة ضعف في الخطاب الإسلامي المتعلق بالحرية، بالنظر إلى ما سبق ذكره؛ فإن هذا السؤال يتحول إلى استفهام إنكاري أقرب منه إلى أي شيء آخر، وأن الردة لو اقتصرت على تغيير إنسان لمعتقده دون أن يتبع ذلك بجرائم ضد الجماعة، أو تصاحبها خيانة عظمى، أو محاربة لدين الجماعة؛ فلا إكراه في الدين، وليس لأحد أن يلزمه بقوله بالإسلام.

ويسرد الناصري مظاهر حرية الاعتقاد التي كفلها الميثاق للنصارى؛ منها: حرية الحوار الديني ويخفض لهم جناح الرحمة، ويكف عنهم أذى المكروه حيث كانوا وأينما كانوا من البلاد، وحرية ممارسة الشعائر التعبدية كاحترام الأساقفة والرهبان وعدم التعرض لهم بالتغيير، وقد أعطى الرسول القدوة في الالتزام بهذا الأمر، يشهد لذلك موافقته لوفد نصارى نجران أداء طقوسهم التعبدية وإقامة صلاتهم بمسجده، وأيضا حق إقامة المعابد ولا يقف الميثاق عند حد إقرار حق إقامة المعابد للنصارى، بل يتجاوز ذلك في تسامح كبير إلى حد التعهد بالدفاع عن كنائس وبيع وبيوت صلوات النصارى، والحرية في التزوُّج بالمسلمين ولا يحق للمسلم إكراه النصرانية على تغيير دينها، إن قبل الزواج منها، بل عليه الرضا والتسليم بذلك.

ويختتم الناصري مقاله بقوله: (بهذا الفهم، يُمكن أن نستنكر استخفاف الحركات الدينية المتطرفة بمشاعر الناس، المدمرة لمفهوم الحرية في الإسلام، ومتحولة بالإسلام إلى وجهة محاكم التفتيش ضد أسسه الكونية، وموقع الإنسان في هذه الكون).

ahlam.squoman@hotmail.com

الثقافة أم العلم؟

• عاطفة المسكري

في نص« إشكالية الوحدة والتنوع في الثقافة» يُناقش الأستاذ منجي الزيدي- أستاذ تعليم عالٍ بجامعة تونس- الثقافة بمفهومها العميق عبر المسطرة الزمنية وذلك في مقاله المنشور في مجلة التفاهم. لطالما راودتني أسئلة حول الترجمة الحرفية لكلمة ثقافة من اللغة الإنجليزية "CULTURE" حيث إن الكلمة الإنجليزية تبدو أوسع نطاقاً من فحوى الكلمة في اللغة العربية. يجيب الأستاذ منجي في هذا النص على السؤال بطرح مفهوم الثقافة بشكل عام، حيث بات من المعلوم أن أغلب التعريفات المتداولة عن الثقافة في الخطاب العلميِ بقدر كبير. بما اقترحه «إدوارد تايلور» نهاية القرن التاسع عشر ترتبط بالمعرفة والاعتقاد والفن والأخلاق والقانون.

إذا نلاحظ هنا أن التعريف كان غالبا يقتصر على الأمور الفكرية أو غير الملموسة في الغالب، ولكن هذا التعريف أعيد صياغته تحديدا في ١٩٩٨ وأيضا في اليونسكو بعد قرن من الزمان سنة ١٩٨٢. وأكدت المنظمة أن الثقافة . بمعناها الواسع . قد تكون اليوم عبارة عن جمع من السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية والتقاليد والمعتقدات؛ فنجد أن التعريف أصبح أكثر شمولية ليغطي الجوانب الملموسة أو المادية كذلك. وهذا يعيدنا إلى مصطلح "CULTURE " باللغة الإنجليزية التي هي أقرب للحضارة أو «ثقافة الحضارة » أكثر من كونها مصطلحا يعبر عن عناصر فكرية بحتة قد لا تترجم في الواقع الملموس. يتطرق الزيدي مرة أخرى للمصطلح من منطلق أو زاوية أخرى. الثقافة بإضافة «ال» التعريف كمصطلح لا يحتمل الكثير من التشعبات والتأويلات بينما مصطلح ثقافة دون «ال» التعريفية، يشي بشيء من التنوع وسعة الاحتمالات والتأويلات المفاهيمية. اليوم وفي ظل التطورات الحاصلة في مختلف مناحي الحياة وبالتزامن مع ارتفاع وزيادة الوعي وأهمية الثقافة لا على المستوى الفكري فقط إنما في كافة جوانب الحياة، أصبح المفهوم يشمل جوانب عديدة كذلك. لم تعد التراكمات المعرفية بمعنى تجميع المعلومات تحديدًا تعد ميزة، خاصة مع التطور التكنولوجي الذي يتيح للإنسان الوصول إلى المعلومة في بضع دقائق أو أقل. أصبح على الإنسان أن يُكرس طاقته الذهنية في ربط المعلومات (المادة الخام) وتطويعها في الحياة بما يتناسب مع اللحظة أو الموقف.

يقال إن الثقافة تسير دائمًا جنبًا إلى جنب مع التواضع الفكري، ونجد هذه العبارة صحيحة إلى حد كبير فكلما ازدادت ثقافة الإنسان وزاد علمه أدرك كمية المسافة الإضافية التي يحتاج لقطعها في سبيل الاستزادة من العلم، على العكس من أولئك الذين يحبذون البقاء تحت الأضواء والذين يلجؤون لمخاطبة المجتمع من أبراجهم العاجية والتي غالبًا ما تحمل نبرة ازدراء للآخر. أن تكون مثقفًا في جانب متعلق بحياتك لا يعد ترفًا اليوم. ففي ظل الثورة المعلوماتية والفكرية والقفزة التي قفزها العالم نتيجة التطورات الحاصلة جعل الحياة سريعة جدا بما يتناسب مع التطورات السريعة التي تحصل بالمقابل. إضافة إلى ذلك، فإن الإنسان مطالب اليوم بالتأقلم مع نمط الحياة هذا وإلا اعتبر متأخرا؛ فقد لا تعطيه الحياة فرصة الخوض في التجارب والتعلم منه ليصبح أكثر قدرة على التأقلم. وفي حال حدث ذلك يعد أمرا محمودا وإن لم يحدث فلابد أن يلجأ الإنسان إلى الاطلاع والاستزادة لرفع المستوى الثقافي لديه. لا تقتصر الثقافة على الجانب العلمي فقط، حتى أبسط أو أكثر الأمور تعقيدا في الإنسان - عواطفه - تحتاج إلى مستوى معين من الثقافة للتعامل معها. قد لا يكون من المبالغة اليوم إذا ما قلنا إن الثقافة أسلوب حياة. وفي هذا السياق كثيرا ما تطرح أسئلة لقياس ما مدى أهمية كون الإنسان مثقفاً من كونه مُتعلماً فقط دون أن يكون مثقفا! من منظور شخصي أجد أن الثقافة والتعليم من المفترض أن يكونا وجهين لعملة واحدة حيث يصعب حقيقة الأمر أن يصبح الشخص مثقفا حقيقيا دون تعليم والعكس صحيح، وتبقى قيمة العلم ناقصة إذا اكتسبها من لا يعرف كيف يسخر العلم المكتسب ليستفيد منه في الحياة الواقعية لتنمية جانب ما في الحياة سواء أكان لنفسه أو لمجتمعه أو لوطنه أو بما يتناسب مع معطيات الواقع. حقيقة إنّ الشهادة اليوم لا تصنع مثقفاً وأيضاً كم المعلومات المكدسة لديك لا يصنع منك مثقفاً. إنما «النشاط الفكري النابع من الوعي والفهم وسعة الأفق» والتي تنعكس في الجوانب الحياتية المختلفة منها المهني، والاجتماعي والفكري. كما أنه غالباً ما يكون لديه حس المسؤولية الاجتماعية عالياً لأنَّ الفجوة غالباً ما تكون حاضرة بين معطيات الواقع الاجتماعي وبين الصورة التي من المفترض أن يبدو فيها والتي غالبا ما يدركها المثقف. يبقى النقاش معمقاً إذا ما جئنا نناقشه على المستوى الفردي والمفاهيمي لكلمة -الثقافة- أخذا بالحسبان أنه هنالك أيضاً أنظمة ثقافية تعكس الأسلوب الفكري لمجموعة ما. هنا يصبح الحديث أكثر تشعبا إذا ما تحدثنا عن ثقافة ما، العربية أو الإسلامية أو الأجنبية مثلا؛ حيث يسود الحديث في هذا السياق عن الحوار بين الثقافات وتدخل فيها عناصر متعلقة بالعولمة والاندماج الثقافي التي طرحها الأستاذ منجي الزيدي على هيئة التحولات التي حصلت للثقافات عبر الزمن وكيف أثرت العولمة في المسافات فيما بينها. غلبت فكرة -عدم التناسب- فقط لمجرد كون الآخر مختلفا إلى الحوار ومحاولة تقريب وجهات النظر من ناحية والوصول إلى نتائج مرضية لكافة الأطراف أو الثقافات من ناحية أخرى. إن الحوار مطلب ضروري لا خيارا وترفا في ظل المعطيات الواقعية وأمام العولمة تحديدا. تتغير المفاهيم ابتداء من المفاهيم المرتبطة بالأفراد وحتى أكثر المفاهيم تعقيدا والتي ترتبط بكيانات أخرى مثل الدول بسبب تغيير المعطيات » فيبقى التغيير هو الثابت الوحيد عبر العصور » .

Attifa.nasser@gmail.com

الحركة الإنجيلية الجديدة وأبعادها

قيس الجهضمي

إنَّ لامتداد الكنائس والحركات المسيحية في أمريكا الأثر البالغ في تحريك الخيارات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ليس في أمريكا وحسب بل امتدت إلى آفاق بعيدة في العالم، لذا يتناول الكاتب عزالدين عناية في مقالته «حركات الإنجيليين الجدد: معنى ظهورها وانتشارها»، المنشورة في مجلة التفاهم، هذا الحراك الديني الذي زحفت فيه الكنائس والأحزاب الدينية المسيحية بقوة في شتى أنحاء العالم والذي يطلق عليه «الإنجيليون الجدد»، إذ تتميز الساحة الأمريكية بمزيج خاص بين الديني والسياسي حسب ضوابط وأعراف تأسيسية يطلق عليها الآن مفهوم «الدين المدني».

يرى الكاتب أنَّ من الدوافع الرئيسة لنشأ هذه الحركات وتطورها هو تحرر السوق الدينية في أمريكا مع تضافر روح الابتكار والمبادرة في المجال الديني أيضاً، وأن الواقع الديني الأمريكي لا يتحرر من سلطة الدولة بل يحضر فيها ويتشكل مع بنيتها، وهذا هو الذي يميزه عن الواقع الديني السياسي في أوروبا، وما يميز هذا الواقع الديني المدني هو أنه لا يتعارض مع لائكية الدولة بل يشكل أحد الأعمدة التي يقوم عليها، أما في تحديد أصول هذا التيار الإنجيلي في الولايات المتحدة فيذهب العديد من الباحثين إلى نسبته للراعي إيساك وليام كنيون ولاهوته الذي يقول فيه بأن قوة الإيمان قادرة على تغيير الواقع المادي، بينما تذهب الكاتبة كايت وارد إلى أنَّ قيام هذا التيار راجع إلى تأثير نظرية آدم سميث بخصوص «الأحاسيس الخلقية حيث يكون الإعجاب بمن يحقق نجاحاً في الحياة».

يعود انتشار هذا الفكر الإنجيلي الجديد إلى قوة مؤسساته الميغاتشرش «الكنائس العملاقة»، وإعلام «التليفانجيليست» المبشرين التلفزيونيين، وبكارزما المبشرين، وأيضاً التعاون الوثيق بين الإعلام والاقتصاد والسياسة الذي ساهم في تفشي الظاهرة الإنجيلية، وقد كان هذا التطور الإنجيلي عن طريق استبطان الدين المبسط لدرجة جعل الإيمان يصل لمرحلة الإيمان بالخوارق. كما أن «لاهوتيي الرفاه» الإنجيلي يروجون في الراهن لفكرة أن الغنى هو في ارتباط وثيق مع الإيمان الشخصي، وفي حل تام من معناه الاقتصادي والاجتماعي المبني على التقشف والتزهد العملي في الحياة، وبالنسبة إلى عدد الإنجيلين الجدد فإنّه يقدر بأربعمائة مليون شخص حول العالم، وعددهم في الولايات المتحدة وحدها يُقدر بنحو ثمانين مليونا، وبما أن الهرمية غائبة في مثل هذه التنظيمات فهي تخلق فضاء من الحرية لأفرادها، فهناك من يفسر أن أصحاب هذا التيار يعيشون حياة روحانية ولديهم سيولة في الدين غير مضبوطة بقوانين معينة، وقد ترك الإنجيليون الجدد العمل التقليدي المنحصر بالتبشير إلى صناعة كنائس جديدة ذات تركيبة اجتماعية شاملة تحوي بداخلها كل المُؤسسات الاجتماعية المطلوبة لرفاه الإنسان.

يذكر الكاتب أن ملخص التصور الديني للإنجيليين هو في لاهوت الرخاء حيث إن الرب يريد لأتباعه حياة الرفاهية وأن يعيشوا أغنياء، وفي استبطان مركزية هذه الفكرة يكون الإله مجرد خادم للإنسان، والدين عبارة عن ظاهرة نفعية فقط، وقد لعب الإعلام الديني المتمثل في التلفانجيليست «المبشر الإنجيلي التلفزي» دوراً في ترويج هذه التصورات وانتشارها داخل أمريكا وخارجها.

يذكر الكاتب أن هذا التوجه الإنجيلي يحوي العديد من الجماعات والتي يجمعها طابع خُلقي بالأساس وتبقى مكونات بنائها مسيحية، وترى أن السياسة هي من الأدوات التي تستطيع أن تحقق بها أهدافها الدينية وما يحويه الكتاب المقدس من أفكار وتوجيهات، فليس هدفها السيطرة على السياسة ولكن تطويعها بما يخدم مصالحها.

سعى الإنجيليون الجدد إلى خوض غمار السياسة بعد التعفف عنها في فترة السبعينات واتخاذهم وضعية الهجوم بدل وضعية الدفاع كما يعبرون عنها بمصطلح الحملات الصليبية في العصر الحديث، ويتكون هذا التيار الإنجيلي بنسبة ٦٠ بالمائة من النساء مقابل الرجال، كما أن ٩٠ بالمائة ممن يشكلون هذا التيار هم من البيض في الولايات المتحدة، ويذكر الكاتب أن صامويل هانتغنتون «يعد البروتستانتية عاملا حاسما في التطور وعنصرا من عناصر القوة الأمريكية» وقد كان لتطور الجماعات البروتستانتية في أمريكا اللاتينية أن أصبح رجالات الكنيسة الكاثوليكية يوجهون الإدانات لها، وقد مثلت موجة التبشير البروتستانتية البنتكوستالية العارمة التي انطلقت أعقاب انعقاد مؤتمر بنما ١٩١٦م، البداية الشكلية لانطلاق الحركة الإنجيلية في أمريكا الجنوبية، وفي الحديث عن عوامل زحف الإنجيليين على أمريكا اللاتينية تذكر أليساندرا شاتيني «إن فرضية إضفاء الطابع البروتستانتي على المنطقة لا تنبع من نظرية المؤامرة، بل تستند إلى مخططات مضبوطة مثل تقرير نيلسون روكفيلر (١٩٦٩)، ووثائق سانت فيه (نيومكسيكو) الأولى والثانية الصادرة عن وكالة الاستخبارات الأمريكية»، واستعمل هذا التيار أسلوباً جديداً في جلب الناس عن طريق إغراء جديد يعتمد المُقايضة بالخدمة، وقد جاء هذا التحول من «خروج معادلات الخطاب الديني من الحسابات الأخروية الصرفة إلى معانقة الحسابات الدنيوية المتأثرة بالواقع المتحرك».

يرى الكاتب أنَّ العقود الثلاثة الأخيرة تميزت بتسييس الحركات الإنجيلية في أمريكا اللاتينية، بعد أن مثلت فترة السبعينيات فترة بداية الدخول في الالتزام السياسي، وفي أواخر ثمانينيات القرن الماضي زاد التنافس الديني عندما صارت البنتكوستالية أكثر تناغما مع الليبرالية الدينية، ويذكر الكاتب أن هدف الحركة الإنجيلية في كولومبيا من خلال تشكيلها لحزبها الديني هو الحصول على امتيازات تضاهي امتيازات الكاثوليك، وقد صار من المميز في نشاط الحركة الإنجيلية الجديدة تحولها من موقع الانعزال إلى كسب الغنائم السياسية من خلال رأسمال الديني. ويتصف هذا التوجه كما يرى الكاتب بثلاث صفات: أولها «التكتل بما يشبه الحزب المتكون من «إخوة الإيمان»، شعاره «الأخ ينتخب أخاه»، والثانية: تشكيل جبهة إنجيلية تضم أناسًا وحركات لا ينضوي أصحابها في الحركات الإنجيلية، والنهاية التحالف الموسع مع حركات وقادة غير إنجيليين لغرض يهدف إلى تحوير موازين القوى.

وأرى أنه على المسلمين فهم الحركة الإنجيلية لاستخلاص الأدوات الجديدة وتفعيلها لتغيير الخطاب الديني بما يمنحهم إقبالاً أكثر من الناس ويتناسب مع واقعهم المعيشي، وتفعيل دور المساجد لتشمل جوانب اجتماعية أكبر دون الاكتفاء بها في الشعائر الدينية وأن الانخراط في النظم السياسية هو بمقدار ما يخدم الإنسان لتحقيق منفعته الدينية والدنيوية على حد سواء.

qabuazan@gmail.com

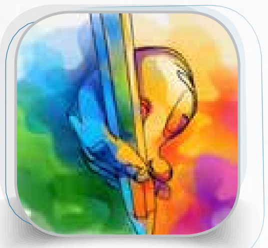

الدعوة إلى الوحدة

• رية الخزيرية

إنَّ الله دعا إلى الوحدة كما دعا إلى التوحيد؛ وذلك لما في الوحدة من أهمية بالغة تتمثل في التكاملية والعيش بطمأنينة وإلفة ومحبة وسرور وسعادة بالغة، وما في نقيضها من سبب للتشتت والضياع ودثار الريح؛ إذ لا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف.

وفي مقال «الإيلاف والائتلاف والمؤتلف الإنساني: الأسرار اللغوية والرؤية القرآنية والأبعاد الحضارية»، والمنشور بمجلة «التفاهم»، يسلط الكاتب فيصل الحفيان الضوءَ في مقدمته على دلالات ومعاني الكلمات الثلاث (الإيلاف والائتلاف والمؤتلف)، ومشتقاتها، مع الإشارة إلى قيمة هذه الكلمات اللغوية والحضارية ومدى تأثيرها على سير الركب الحضاري البشري.

وبيَّن الكاتب معنى هذه الكلمات على ما ورد في المعاجم اللغوية، وكما هو شأن الكلمات العربية في تميزها بحمل معانٍ كثيرة في بطونها يفسرها ويبينها السياق الذي تكون مسكنة فيه؛ فإن هذه الكلمات الثلاث كذلك لها معانٍ كثيرة يتأتى فهمها حين توضع في سياقها المناسب لها.

وأوضَح الكاتب أنَّ معنى كلمة الإيلاف المرادة في مقاله هي المحبة، والائتلاف هو الاجتهاد في القيام بالألفة، أما المؤتلف فيعرف على أنه الشيء الذي يؤتلف به أو يجتمع حوله ويراد به المشترك. أتفق مع ما قاله الكاتب؛ إذ الإيلاف بالرغم من دلالاته المتعددة كالرحمة والمودة والمحبة، فإنه يحتاج إلى من يجتهد في سبيل تحقيقه ومن هنا تتصدر كلمة الائتلاف لتقوم بدورها، وبعدها تأتي كلمة المؤتلف التي تحمل في طياتها القاسم المشترك ونُعتت بالإنسانية كون الكاتب يريد بمقاله أن يطال الكائن البشري في المقام الأول.

وانتقل الكاتب بعد ذلك إلى الحديث عن الأبعاد اللغوية لجذر الكلمات الثلاث (ألف)، وبين أنه يدور حول معنيين وهما الاعتياد والدرس والتعلم، وهذا ما يتضح عندما نقول ألفت الشيء أي اعتدت عليه. وناقش الكاتب بعدها أقوال العلماء واللغويين التي وردت في هذا الشأن (معنى كلمة ألف) بشكل مستفيض، وحاول جاهدًا تفنيد ما أوردوه من معانٍ -كالصلح والمصالحة والاتفاق والمشابهة والمماثلة والاجتماع والمودة والمحبة والانضمام... وغيرها- كما حاول التوفيق بين كل هذه المعاني للخروج بما يكون معنى شاملاً وافيًا يكون له صدى في تحقيق الغاية المنشودة من كتابة المقال، وهي الوصول إلى سبل تحقيق الألفة والمودة بين المجتمعات البشرية. وأوضح الكاتب أنه مهما اختلفت تلك المعاني المسطرة، فإنها تقترب أحيانا وتبتعد أحيانا أخرى، لكنها ورغم ذلك تسجل إضافة جديدة، وهذا ما أتفق فيه مع الكاتب؛ إذ إنَّ كل لغوي متبحّر في اللغة ينظر إلى معاني الكلمة من زاوية مختلفة ربما لو شرح أسباب تفسيرها بذلك لكانت أقرب للصواب حينما يبين المبررات بشكل واضح ومناسب.

وبين الكاتب أن المشهد اللغوي يتسع اتساعًا كبيرًا في تفسير أصل الكلمة (ألف)، ويبين أنها تحمل في طياتها معاني الوصل والاستمالة والمداراة والمقاربة واللزوم والاستجارة والإجارة والأمان والعهد والحب. ومن وجهة نظري أنَّ كل هذه المعاني التي أوردها الكاتب تنصب في بوتقة واحدة تخدم العلاقات الإنسانية لتحقيق سبل العيش في وئام والتئام بغض النظر عن الاختلافات الثقافية والعرقية والدينية، وكل ما من شأنه أن يجرح هذا المصطلح.

وانتقل الكاتب بعدها إلى الاستعانة بالكيان اللغوي الثابت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وذلك ليكون داعمًا وخادمًا لنا للوصول إلى فهم أعمق وأوضح. ألا وإن ذلك الكيان اللغوي هو القرآن الكريم.

وتبيَّن أنَّ القرآن الكريم استخدم المشتقات من كلمة الائتلاف في كثير من سوره، وكانت تلك الاستخدامات في تلك المواضع المختلفة من السور تحوي معاني عديدة؛ فتارة تشير الآية إلى الإلفة والتأليف كما في قوله تعالى: «فألف بين قلوبكم»، وأخرى تشير إلى البقاء كما قال تعالى: «لإيلاف قريش»؛ أي أنهم بقوا واستمروا في رحلتيهم إلى الشام وإلى مكة، ومرة تشير الآية إلى معنى النعمة كما في الآية السابقة؛ فاستمرار قريش في رحلتهم في الشتاء والصيف مع توفر الأمن والأمان نعمة من الله عظيمة.

إضافة لهذه المعاني، نجد أنَّ بعض الآيات تشير إلى معنى تأليف قلوب حديثي الإيمان واستمالتهم كما في قوله تعالى: «والمؤلفة قلوبهم».

وبعد هذا العطاء الجزل من الكاتب لمعاني الإيلاف والائتلاف والمؤتلف الإنساني، ختم المقال بالحديث عن الأبعاد الحضارية لهذه الكلمات ومدى تأثيرها في تأسيس الحضارات وتماسكها وقدرتها على تقبل الطرف الآخر.

فالائتلاف بين المجموعات البشرية هو مطلب دنيوي وديني؛ إذ إن المجموعات البشرية لا تخلو البتة من وجود ما يكدر صفوها ويقض مضاجع منامها ويدكك أركانها، ولكن لو أن الكائن البشري سعى جاهدا لتحقيق معاني الألفة ونظر في القواسم المشتركة بينه وبين غيره وحمل الاختلافات على أنها قوة وإضافة وإيجابية تدفع بعجلة ركب الحضارة إلى الأمام، وتصعد به إلى الأعلى، لكان ذلك أدعى للسلم والسكينة والراحة والتقدم.

والمنظُور الإسلامي تجاه الإلفة والائتلاف كان واضحًا جليًّا منذ باكورة عمره، فما أرسل الله الرسل وما بعث الأنبياء إلا ليرشدوا الناس ويبينوا لهم ما يختلفون فيه؛ لتكون القواسم المشتركة هي مبعث الطمأنينة في النفوس، وليكون للبشرية مرجعية يستندون إليها، ويتكئون بعصاهم عليها كلما اختلفوا أو أصابتهم نازلة من المكن أن تحطم قدرة أمواجهم من جَوْب عُباب البحار.

فلو أنَّ كل فرد جعل المرجعية التي اختارها صانع الكون قدوة ومثالاً له، ينتهج نهجه ويسير على خطاه ويرتقب قوله ويلتزم أمره وينتهي نهيه ويسير على دربه ويرجع إليه في كل صغيرة وكبيرة، لكان ذلك أقرب إلى أن تتحد البشرية تحت مظلة قيادة واحدة عادلة مؤطرة بأطر السلم والعدالة والمساواة؛ فتسود المودة والمحبة، وتذوب الثلوج المتراكمة من الخلافات التي لا طائل منها ولا تجلب للبشرية سوى الشر والحرب الضروس التي تبدأ بصاحبها وتنتهي به.

rayaalkhuzairi@gmail.com

السبيل إلى المؤتلف الإنساني

• محمد الكمزاري

يشهد القرن الحادي والعشرون استعادة الدين لدوره المؤثر في الحياة، فحوالي ٨٤٪ من البشر ينتمون إلى دين أو عقيدة ما، ويشكل المسيحيون حوالي ٣١٫٥٪ من سكان العالم، ويعيش ثلثاهم في دول العالم الثالث، حيث يستوطن الإسلام والعقائد الأخرى، رغم أنَّ ٨٠٪ من المسيحيين حتى القرن التاسع عشر كانوا يعيشون في أوروبا والأمريكيتين، وهذا يعني أنَّ المسيحية تتمدد باتجاه الجنوب، أما المسلمون فيشكلون ٢٣٫٢٪ من سكان العالم، ويعيش ثلثهم في دول ومجتمعات غير مُسلمة، وفي ظل انتشار ظاهرة انتشار التدين وتراجع الإيمان وأخلاقياته، ظهر التعصب والتشدد وتراجعت الروحانية، وهنا تُطرح قيمة التسامح بين أهل الأديان.

إن تحقيق المؤتلف الإنساني ليس ترفا، وليس اختيارا هامشياً للفرد والمجتمع، ولكنه اختيار مصيري، والمتأمل في الأديان يجدها في مجملها تدعو إلى تحقيق التسامح بين الشعوب المختلفة، حيث تشرع من الحقوق والواجبات ما يكفله، ومن المواعظ والنصائح ما ييسر حركته داخل الأنفس والمجتمعات، فتزيل العوائق التي تعترضه من الكراهية والرغبة في الانتقام.

فمن منطلق دوافع التفكير بعمق في مآلات العلاقات الإنسانية بشكل عام وشكل تلك العلاقات وماهيتها في المستقبل القريب أو البعيد بشكل خاص، نجد أنفسنا أمام مسؤولية إنسانية أولاً وأخلاقية ثانيًا. تلزمنا بوضع نهج يعيد التوازن بين المصالح يهدف إلى الوصول لمنهج عمل يُقدَّم للعالم المضطرب ليعينه على النهوض من جديد، واستشراف حياة متوازنة، يعيش فيها الناس على أساس من الكرامة والحقوق الأساسية والأمان النفسي.

والإنسان المعاصر أشد ما يكون احتياجاً إلى التسامح كخلق وسياسات، فالقدرات التي في يده للانتقام هي الأعلى في تاريخ البشرية من الأسلحة الفتاكة، كما أن إمكاناته على نقل الكراهية متنوعة وضخمة، وإذا لم تُقيد الكراهية والقوة الغشوم بروح التسامح والعقل فإنَّ البشرية تقترب من حافة الدم والدمار. يلعب عاملان أساسيان دورا محوريا في إبراز قيم التسامح، هما التغيير الديموغرافي المتمثل في الهجرة إلى الغرب، والتي باتت تهدد هوية الغرب وثقافته، وهو ما أدى إلى تراجع التسامح، وكذلك الإرهاب الذي وقع من بعض المهاجرين باسم الدين فقلص هو الآخر مساحة التسامح وأجج مشاعر الاحتقان.

وهنا نستعرض مقال الباحث الإيطالي المتخصص في الدراسات التوراتية - ماوريسيو انتينوتشي- المعنون بـ«المؤتلف الإنساني في التصورات اليهودية المعاصرة» والمنشورة في مجلة التفاهم والتي استعرض فيها الأبعاد الثلاثة التي من خلالها يمكننا أن نحقق التآلف الإنساني لإعادة التوازن بين الشعوب. يتمثل البعد الأول في تحسين حياة البشر والبعد الثاني في اعتماد منظومة أخلاق عالمية، أما البعد الثالث فيتمثل في رعاية القيم الروحية للإنسان. وتتمثل المرتكزات الحضارية للتآلف الإنساني في ثلاثة أبعاد مهمة وهي العقل والعدل والأخلاق. كما يستعرض إلى جانب الثلاثية ذات الأبعاد الإنسانية العامة التركيز على ثلاثة موجهات أساسية تتصل بالسلوك البشري تتمثل في تعزيز ثقافة السلام والتفاهم واحترام الحياة وتقديرها وطمأنة الناس بالحفاظ على هوياتهم وحياتهم الخاصة وتعميق قيم الشراكة المجتمعية والقيم الاجتماعية.

إن ما يشتمل عليه الإرث الروحي العالمي للإنسانية من الثراء الطافح والخبرة المتراكمة يدخلنا إلى صميم كل دين من الأديان الكبرى فكل الأديان بشكل أو بآخر تحض على مبدأ قبول المغاير.

فعلى سبيل المثال نجد أن التوارة ومن خلال الوصايا العشر لنبي الله موسى -عليه السلام- والتي شرحها الطبيب اليهودي موسى بن ميمون والتي تأثر فيها بالدين الإسلامي وتسامحه في مدن الأندلس خاصة قرطبة، حيث زود الوصايا بلمحة من التسامح والتعايش والتآلف الإنساني؛ حيث يمتد جوهر المؤتلف الإنساني في اليهودية من معرفة الله تعالى وامتثال صفاته، فهو غفور رحيم. وتخبر التوراة أنّ من يتصرف برحمة مع النَّاس وسائر المخلوقات يرحمه الله تعالى، والعكس صحيح أيضاً. وتمثل الرحمة معنى أساسياً وجوهرياً في المسيحية؛ فالمسيح وهو يتألم دعا الله تعالى أن يرحم المسيئين إليه، فإنّهم لا يعلمون، وفي الصلاة يدعو المسيحيون «اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين». وقد مدح القرآن الكريم الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وفي البوذية فإنَّ الكراهية لا توقف بالكراهية، لكن بالحب نبلغ أهدافنا، وتعد صلاة التسامح وطلب الصفح في الهندوسية أساساً لتسامح الناس وصفحهم بين بعضهم بعضاً.

في حوار يعود إلى سنوات مضت صرح المفكر اليهودي جورج شتاينر: «لا يتسنى العيش ما لم نتعلم أن نكون محتضنين للآخر؛ فنحن ضيوف في هذه الدنيا دون أن نُدرك لماذا ولدنا ونحن ضيوف في هذا الكون الذي تقترف فيه أشياء فظيعة؛ فأن نكون محتضنين للآخر يعني أن نأتي الخير كيفما كان، مع البقاء على أهبة الاستعداد لخوض هذا المسار مجددا إذا ما تطلب الأمر ذلك.

أعتقد أنه من الواجب أن نعيش مفهوم الاستضافة للآخر بشكل عميق. وهكذا فإنَّ المؤتلف الإنساني مطلب نبيل دَعَت إليه الأديان كافة، وكيف لا تدعو إليه وقد أرادته الحكمة الإلهية واقتضته الفطرة الإنسانية واستوجبته النشأة الاجتماعية وفرضته المجتمعات المدنية وما تحتاج إليه من قيَم حضارية ومَدنية نبيلة. إذن المؤتلف الإنساني ينبغي أن يكون حاضرا في المجتمعات في بلدانها حتى تنطلق إلى الفضاء الخارجي فالمجتمعات المتصالحة مع نفسها تكون قادرة على التحاور والقبول بالآخر؛ لأنه يصعب بناء حضارة مدنية في أي مجتمع وسط تضارب وتضاد الأفكار والانقسام والتعصب. إن المسألة تحتاج إلى جهود مضنية لمواجهة المضاد الآخر الذي نرى بعض أحداثه تدور الآن وفي أكثر من منطقة جغرافية اعتمادا على الطمع الإنساني والتقديرات الخاطئة في السياسات ونشر الكراهية بين الشعوب لتحقيق مآرب شيطانية تحطم أحلام الملايين من البشر علاوة على انعدام الحوار وتقبل الآخر والإصرار على وجهة النظر الواحدة واستعداء الشعوب.

m-alkumzari@hotmail.com

عبدالرحمن الحوسني

المؤسسات الدينية في نشر الحرية

ناقش الدكتور عبدالرحمن السالمي في مقاله «المؤسسات الدينية والمؤسسات المشتركة في صون السلم العالمي»، والمنشور بمجلة «التفاهم»، عدة أمور؛ من أهمها ما ظهر بعد الحرب الباردة من تطورات، وناقش أيضا المشكلات الأساسية الناشرة للاضطراب وهي أكبر مهددات السلم العالمي.

وانتهت الحرب الباردة عام ١٩٩٠م، وقد سادتْ في الحرب الباردة توازنات تعطيلية مجمَدة نتيجة بروز تحالفين جبارين، وقف كل منهما على الآخر بالمرصاد؛ سواء في أعماله الخيرة أو الشريرة، وتم قيام المنظمة الدولية (الأمم المتحدة)، وميثاقها الواعد في الحرب العالمية الثانية، إضافة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وبعد انتهاء الحرب الباردة، ظهر أمل جديد بالعودة لنصرة القيم الإسلامية وتفعيل آليات مكافحة الفقر والعوز والإساءة إلى البيئات الإنسانية الطبيعية، ولكن بدلا من نظام عالمي جديد سادت فوضى دولية.

والأمر في ذلك ناجم عن تراجع الولايات المتحدة أمام الضغوط التي تعرضت لها والحروب التي شنتها وما استطاعت الانتصار فيها؛ مما أدى إلى ضرر كبير؛ فالنظام الدولي الجديد ينبغي أن يكون هو نظام المسؤوليات المشتركة وفي عدة مجالات؛ وهي أولا اعتماد الحوار السلمي بين سائر الأطراف. ثانيا: الانطلاق في الحوار من مبدأ وحدة الإنسانية. ثالثا: التأكيد بالفعل وعن طريق الحوار على وجود القيم الإنسانية المشتركة. رابعا: اعتبار الفقر والعوز المشكلة الإنسانية الرئيسة. خامسا: اعتبار الحرب لبلوغ أي هدف كان ممارسة غير إنسانية. سادسا: اعتبار التقدم الإنساني من طرق التنمية المستدامة، أما سابعا وأخيرا، فاعتبار السلام الفردي والدولي والديني والثقافي قيمة إنسانية كبرى.

فالمجال الأول ألا وهو اعتماد الحوار السلمي بين سائر الأطراف هو فتح الآفاق لمستقبل إنساني مشترك ومتضامن، وهكذا فللحوار وظيفتان أساسيتان؛ هما أن يكون الوسيلة الوحيدة لمواجهة المشكلات والتحديات، أما الوسيلة الثانية فهي أن يكون داعية التواصل بين الأديان والحضارات. المجال الثاني هو: الانطلاق في الحوار من مبدأ وحدة الإنسانية بوصف ذلك حقيقة واقعية ناجمة عن تساوي الناس في الخلق والعرق والحق في العيش الحر والكريم. أما ثالثا، فهو التأكيد على وجود القيم الإنسانية المشتركة ويتحقق عن طريق الحوار. ويقول الفقهاء المسلمون إنَّ البشر جميعا يتلاقون على ست قيم؛ هي: قيمة الحياة، وقيمة الدِين، وقيمة العقل، وقيمة الحياة الأسرية، وقيمة التملك، وقيمة الحرية. المجال الرابع أن يعتبروا الفقر والعوز المشكلتين الأساسيتين التين ينبغي التصدي لهما وبشكل مشترك لتحقيق الحرية وصون الكرامة الإنسانية. المجال الخامس إذا كان العنف بقصد الهيمنة أو فرض إرادة دولية أو تنظيم على الآخرين أرضا وحرية وسيادة فهو ممارسة غير إنسانية. المجال السادس هو اعتبار التقدم الإنساني هدفا ذا أولوية مطلقة ولدى الأفراد والدول والمؤسسات الدولية عن طريق التنمية المستدامة.. أما المجال الأخير، فالسلام قيمة إنسانية كبرى مؤسسة على الحرية.

إنَّ هذه المجالات السبعة هي مسؤوليات مشتركة لا يختلف عليها بنو البشر، وما حال دون استتبابها إلا ظروف الحرب الباردة من جهة وطموحات الهيمنة من جهة أخرى. فها نحن نتطلع لفرص جديدة للناس كافة يخلقونها بأنفسهم ويعملون على تنفيذها وتطويرها بإرادتهم الحرة -بوصفهم جزءاً من الحرية- ومن حق الإنسانية ومن حق المسلمين أيضا الوصول للحرية والسلام؛ فالحرية هي التي تتأسس على المسؤولية وأما السلام فيتأسس على الحوار والتضامن. أما مقولة اللاهوتي الكبير هانس كينغ، فقد حظيت باهتمام. يقول هانس كينغ: لا سلام على المستوى العالمي إلا بالسلام بين الأديان، ولا سلم بين الأديان إلا بالحوار، ولا حوار بين الأديان إلا بوجود أخلاق عالمية. هانس كينغ هو من أتباع «لاهوت التحرير» الذي تصاعدت نزعاته في أمريكا اللاتينية تحت وطأة مشكلات الفقر والاستبداد وضرورة عناية الكنيسة بها. وتقتضي هذه المقولة ثلاثة أمور؛ ألا وهي: أن تعود الأديان لاستكشاف رسالتها القيمية والأخلاقية، والأمر الثاني أن يتنازل الفلاسفة والمفكرون عن مقولة استقلال العقل بإنتاج الأخلاق منفردا، والأمر الثالث أن يتضامن الطرفان أو الأطراف في مجالي دعم ازدواجية القيم والأخلاق والتأثير على المؤسسات التي يقوم عليها نظام العالم، فتكون لذلك نتائج فعالة في سلام العالم وأمنه.

إنَّ قسما كبيرا من مفكري الديانات يمضي في الحاضر باتجاه سردية جديدة في الدين تتجاوز الاعتبارات التلاؤمية الأخلاقية ليكون هناك ما يشبه لاهوت الحرية والسلام والعدل؛ فلا تظل القيم الأخلاقية نابعة من الدين بل هي الدين ذاته، والسرديات الجديدة في الأديان الكبرى ليس سببها محاولة زيادة قوتها الناعمة فقط بل ولأنها تواجه تحديات في الأصوليات التي ظهرت بدواخلها، والتي أحدثت انشقاقات تخشى القيادات الدينية أن تؤثر على روح الدين في بعض المجتمعات والثقافات باسم الدين أيضا.

أمَّا المقولات الثلاثة التي تقوم على السردية الجديدة التي تكونت بالتدريج من أعمال المجتهدين على مدى قرن كامل، وهي مقولة الرحمة ومقولة التعارف ومقولة الضروريات.

أما مقولة الرحمة فهي في علاقة الله عز وجل بالإنسان، ومقولة التعارف هي في العلاقات بين البشر، أما المقولة الثالثة والأخيرة فهي مقولة الضروريات الخمس في إحقاق الرحمة والتعارف؛ وهي: صون الحياة وصون العقل وصون الدين وصون النسل وصون الملك. وهذا الصون ليس في المجتمعات الإسلامية فحسب، وإنما في المجتمعات كافة. أكدها الإمام الشاطبي وهو أحد كبار العلماء المسلمين حين قال «إنها مراعاة في كل ملة»، ويعني ذلك أن كل الأديان شأنها شأن الدين الإسلامي نفسه في صون السلم العالمي؛ وذلك بالتعاون بين الأديان وأيضا إحلال العدل والمواساة بين البشر.

أمَّا المشكلات الأساسية ناشرة الاضطراب، فهي أكبر مهددات السلم العالمي وهي خمس مشكلات أساسية: أولا تهديدات السلم العالمي مشكلة الفقر وكانت الإحصائيات مفزعة جدا. وفي أوساط الفقراء مجتمعات ودول تعمل عشرات الوكالات والمفوضيات الدولية وبرامج طويلة المدى لمكافحة الفقر. والذي نحتاج إليه اليوم هو الإحسان وهو جزء من الروح الإسلامي العام وأن نتشارك مع الجهات المختصة من الديانات المختلفة ونتضامن ضمن المظلة الشاسعة للرحمة، وقد قال الله تعالى: «رحمتي وسعت كل شيء». أما المشكلة الثانية فهي مشكلة البيئة والتي أحدثتها وتزيد فيها الصناعة والتكنولوجيا ومخلفاتها؛ فهي لا تشكل ضررا في الطبيعة فحسب، وإنما في الزلازل والبراكين أيضا، وانتشار الأمراض والأوبئة؛ فلذلك نحن محتاجون لمواجهة هذه المشكلة العويصة والخطرة على مصائر الأرض والبشر الذين يعيشون فيها. أما المشكلة العالمية الثالثة هي مشكلة الحروب على الموارد مثل الطاقة والمعادن الثمينة. أما المشكلة الرابعة والخطيرة، فهي مشكلة اللاجئين، والذين وصلت أعدادهم في العالم إلى حوالي السبعين مليونا وهذه المشكلة ناجمة عن الفقر والعوز. أما المشكلة الخامسة والأخيرة، فهي مشكلة التميز الديني، والمتضررون الرئيسوون هم المسلمون.

abdarhman123681@gmail.

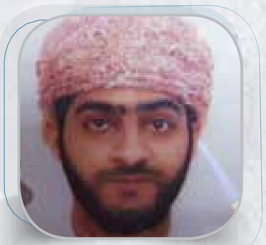

حميد الصلتي

خليفة الله في الأرض وقائد السلام لنظامها

لقد خلق الله الإنسان ورفع مكانته وأعلى مقامه وكرَّمه على سائر المخلوقات وأمر ملائكته بالسجود له سجود تكريم وجعله خليفة في الأرض، بل وحمله أمانة ناءت السماوات والأرض بحملها إكرامًا له، وما رفع الله قدر هذا المخلوق المُتميز إلا لما له من صفات تؤهله لأن يكون قائد السلام لنظام الكوكب الأرضي.

وفي مقال «المؤتلف الإنساني واستقامة نظام الأرض» لمحمد بن سعيد المعمري يسلط الكاتب الضوء في مقدمته على الكتاب الذين كتبوا عن الفكر اليوناني وما أحدثه من نقلة نوعية لاتجعل مجالا للشك أن الكائن البشري هو المنوط بحمل رسالة إصلاح الأرض وتسوية أمورها والنهوض بها إلى أرقى درجات السلام والطمأنينة.

وقد أورد الكاتب ما تطرق إليه «سوك شا» من مستقبل البشرية في اشتياقها نحو السلام وإيجاد قيم بديلة عن الصراع والحرب وأتفق مع ما قاله سوك شا؛ إذ إن أغلب الأمم -مهما اشتدت الأزمات بينها- تحب السلام وتميل إليه وتطمح للوصول له، هروبًا عن المنغصات التي تكدر عيشها وتقض مضاجعها وتسلب نوم أجفان عيونها.

وقد أورد الكاتب معتقد سوك شا فيما يتعلق بالتعايش السلمي بين البشر، حيث أوضح أنه على الرغم من الإيمان الراسخ لسوك شا بقضية السلام فإنّه يساوره شكٌّ في وجود نظرية يمكن أن تكون الأنموذج المثالي للتعايش السلمي بين المجموعات البشرية، كما أن سوك شا يعزو النجاحات التي تحققت سلفًا في خلق مثل هذا التعايش إلى أن إدارة السلم كإدارة الحرب. وقد يكون جزءًا مما قاله سوك شا يضع المفصل على المفصل، إلا أنه لا يمكن الاستكانة والخضوع تحت مظلة الشك بعدم وجود أنموذج مثالي للتعايش السلمي بين البشر حيث إن الله عز وجل هو من خلق الكون برمته وجعل فيه قوانين وأنظمة وتشريعات أنزلها على ألسنة أنبيائه ورسله لتبيينها للبشر حتى تكفل لهم وجود هذا الأنموذج الذي يساور سوك شا شك في وجوده.

وقد أوضح سوك شا أن أغلب الصراعات ترتبط بطبيعة المكان والزمان والمُجتمع، كما أضاف الفيلسوف كارل أتو آبل أن الحاجة ملحة إلى وجود أخلاقيات عُليا لتحل هذه الصراعات، حيث قسم آبل الأخلاقيات إلى ثلاثة مستويات (صغرى ووسطى وعُليا) وبين أنَّ الأخلاق الصغرى والوسطى من الممكن أن تكون محصورة في التعايش السلمي بين مجموعات بشرية صغيرة وربما تصلح في أحسن الأحوال للقيام بأدوار مهنية فقط أما العليا فهي قلب التعايش السلمي بين أكبر قدر من المجموعات البشرية وهذا مما لا يتمارى فيه عاقلان؛ إذ إن الأخلاق الرفيعة والتي من الممكن إجمالها في مسألة دفع السيئة بالحسنة كفيلة بأن تجعل السلام مُتجذرًا في أعماق الأرض شاملا لأكبر قدر ممكن من المجتمعات.

وبين الكاتب أنَّ النقاش الذي أورده رومان ريس وآبل حول جوهر موضوع الأخلاق كان حوارا ذا أهمية بالغة في سبيل كشف الغُمة المتلبسة بماهية الأخلاق المقصودة والمأمول منها أن تصل بالبشرية إلى الطمأنينة والسلام.

وانتقل الكاتب بعدها إلى الحديث عن إسهامات بوراكي في سبيل تفعيل قضية السلام لتوسعة حدوده إلى مجال أوسع وأشمل، فقد تمركز إسهام بوراكي في وضعه لسبعة سبل من أجل مستقبل البشرية للقيام بالممكن في سبيل العيش المشترك، حيث إنّه يعتقد أنَّ مشروع الثقافة الإنسانية قد حرف مع الزمن ويرى بوراكي أنَّ إدراك التحديات التي يواجهها كوكبنا هي الشرط الأول والأساسي لقيام الثقافة الإنسانية الجديدة التي يطمح إليها الغالبية العظمى من المجتمع البشري.

وتتلخص التحديات التي أشار إليها بوراكي في سبعة تحديات يمكن إيجاز أهم أربعة منها من وجهة نظري في الآتي:

التربية والتعليم والأخلاق: فتعليم القيم والمبادئ والأخلاق وغرسها في أفئدة الناشئة وإبعادهم عن التعصبات والنعرات كفيل بتأسيس نظام سلمي ذي باعٍ مُمتد.

أن ينظر كل فرد على أنَّ الأزمة عالمية على كوكبنا؛ وأتفق معه في ذلك؛ إذ لو أنَّ كل فرد اعتبر مسؤولية السلام مسؤولية مشتركة بين جميع الأنام لبذل الجميع جهده من أجل تحقيقه.

احترام وتقدير التنوع البشري: ومن وجهة نظري فإنَّ على كل فرد أن ينظر للبشر كونهم بشراً ينتسبون إلى أصل واحد لا فرق بين عربي وعجمي ولا بين أبيض وأسود ويجب تقدير الإنسان بغض النظر عن هويته وثقافته وديانته وعرقه ومذهبه ونسبه.

احترام البيئة والمساواة: وكذلك احترام النظام البيئي وعدم التعدي عليها من شأنه أن يؤسس نظامًا سلمياً؛ إذ بدوام موارد البيئة ونظامها والمساواة في توزيعها توزيعًا عادلاً يشعر الجميع بالاكتفاء فلا يعدو أحد على أحد.

وبعد أن عرض الكاتب الكثير من أقوال الفلاسفة والمفكرين عن السلام وسبل تحقيقه انطلق ليستشهد بآية قرآنية حوت في طياتها دعوة إلى العودة إلى الأصل وهي آية أشارت إلى أنَّ أصل الكون كان كتلة واحدة ففصلت حيث قال تعالى: ((أولم ير الذين كفروا أنَّ السموات والأرض كانت رتقا ففتقناهما)).

وكذلك البشر هم من أصل واحد هو آدم عليه السلام وبث الله منه ومن حواء رجالًا كثيرًا ونساءً وهذا الأصل بطبيعة النفس البشرية يحن إلى العودة إليه لتكون الأمم جسدًا واحدًا في مُواجهة الملمات.

وفي ظل التكنولوجيا الحديثة يرى الكاتب أن البشرية غالبًا أصبحت مستعبدة إلا من رُحم؛ ففي ظل وسائل التواصل الاجتماعي والتكنولوجيا المُتسارعة في الحداثة أصبح كثير من الناس فاقدين لهوياتهم وأخلاقياتهم ومبادئهم وقيمهم حيث إنهم صاروا أسارى لبعض الأفكار والمعتقدات الفاسدة التي من شأنها زيادة الفجوة بين المجتمعات البشرية وهذا خطر أشد وطأة من خطر السلاح النووي والبيولوجي والذري.

وانتقل الكاتب أخيرًا إلى الفلسفة الثلاثية التي من الممكن لو أُحكِمَ لجامها أن يصل المؤتلف الإنساني إلى قمة درجات الطمأنينة والسلام. وقد أوجز الكاتب الأبعاد الثلاثية في العقل والعدل والأخلاق؛ فبالعقل يستطيع المرء أن يفكر ويقدر الأمور ويقيسها بميزان الحكمة. وبالعدل بين البشرية تطمئن النفوس أنها لا تظلم مثقال ذرة وأن حقوقها محفوظة لا يُمكن أن تسلب أو أن يُكسر جناحها وتتهاوى دون الانتصار لها. وبالأخلاق تُحرس قيمتا العقل والعدل كما ذكر الكاتب، وهذا ما نتفق معه؛ إذ الأخلاق هي الرأس وهي قمة الهرم؛ ولذلك امتدح الله سبحانه وتعالى نبيه بها في سورة القلم حين قال جلَّ في علاه: ((وإنك لعلى خلق عظيم)). ولا قيمة لعقل أو علم دون خلق يقيده ولا قيمة لعدل دون خلق تؤطر قيامه.

وختامًا، فإنَّ القيم والتشريعات التي رسخ قواعدها خالق الخلق العظيم هي الدستور الذي يجب إيضاحه للبشرية واتباعه لتحقيق الائتلاف البشري ولتكون الأمم أمة واحدة بعيدة عن كل ما شأنه أن يذهب ريحها ويدك صرح تماسكها.

humaid096@gmail.com

حرية المعتقد في الإسلام

• فيصل الحضرمي

يُعدُ الحق في اختيار الدين ومُمارسة شعائره بحرية تامة أحد أهم الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان، بل إنَّ إسلام المرء نفسه يُشترط في صحته أن يكون نابعاً من إرادته الشخصية، وألا يكون خضوعاً لإكراه، ولا اتباعاً لتقليد. ولحرية المعتقد أهمية بالغة في الإسلام، نظراً لما تمثله من دعامة أساسية للاجتماع البشري القائم على التآخي، أو بتعبير آخر؛ لكونها قاعدة صلبة للتعايش، حسبما جاء في عنوان مقالة الباحث الجزائري قدور سلاطة المنشورة في مجلة التفاهم: «نظرة الإسلام لحرية المعتقد كقاعدة صلبة للتعايش»، والتي نستعرض هنا أهم ما جاء فيها حول هذا الموضوع.

من حيث التعريف، يُقصد بحرية المعتقد تمتع الإنسان بالحرية الكاملة في اختيار الدين الذي يراه مناسباً، كما في إقامة الشعائر والطقوس التي نصَّ عليها دينه، وهو ما يستلزم توقير أماكن العبادة، والمحافظة عليها، ودفع الأذى عنها. وحرية المعتقد مبنية على ثلاثة عناصر أساسية لا تقوم لها قائمة بدونها. أولها: أصالة التفكير وتحرره من التقليد. وثانيها: حرية الاختيار وبرؤه من أشكال الإكراه المُختلفة، تهديداً أو إغراءً. وثالثها: حرية الإنسان في مُمارسة دينه، فلا يُضطهد، ولا يمنع من إقامة شعائره التعبدية.

ولقد أقرت الشريعة عدداً من التدابير التي من شأنها حماية حرية العقيدة. فقد وجه الشرع الناس إلى ضرورة احترام حق الآخرين في اعتناق ورفض ما يشاؤون من معتقدات. وحض صاحبَ العقيدة على الدفاع عن عقيدته وحمايتها بشتى السبل، بما في ذلك الهجرة إن اقتضى الأمر. كما أنه جعل الاعتداء على حرية الناس في مُمارسة عقائدهم أحد موجبات الجهاد في سبيل الله عز وجل.

وقد تطرقت النصوص الشرعية لمسألة حرية المعتقد من عدة جوانب. فمنها ما جاء مؤكداً على الحرية الاعتقادية، مانعاً من الإكراه على الدين، مثل قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويُؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾. وقوله: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾. ومنها ما جاء مدافعاً عن حرية المعتقد، كقوله تعالى: ﴿الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله النَّاس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾.

وسعياً منه إلى ضمان حرية المُعتقد، سلك القرآن الكريم منهجاً واضحاً يقوم على أربع ركائز. أولى هذه الركائز تتمثل في تحديد وظيفة صاحب الرسالة. وبحسب الكاتب، فإن الحرية الدينية «هي التي حددت وظيفة صاحب الرسالة». فوظيفته تقتصر على الشرح والبيان، وتحبيب الناس وترغيبهم في الدين، دون أن تتجاوز ذلك إلى إكراههم على اعتناقه. قال تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر × لست عليهم بمسيطر﴾ وقال أيضاً: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾.

وتتمثل الركيزة الثانية في عدم التدخل في الشؤون العقدية لمعتنقي الأديان الأخرى، وتركهم وما يدينون به. وهو ما يعني إعطاء غير المسلمين الحرية التامة لممارسة معتقداتهم، شريطة أن يبقوا موفين بعهودهم، ملتزمين بآداب النظام العام. قال تعالى: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إنَّ الله يحب المتقين﴾. وثمة العديد من الشواهد التاريخية التي تثبت سير المسلمين على هدي كتاب الله في هذا الشأن. فعلى سبيل المثال، نهى سيدنا محمد عن التدخل في شؤون اليهود. قال صلى الله عليه وسلم: «لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم». كما نهى عن التعرض لرجال الدين في الحرب. قال صلى الله عليه وسلم: «لا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع».

وثالثة الركائز هي عدم مُحاسبة الناس على معتقداتهم المختلفة، وترك الفصل في أمرهم إلى الله وحده. قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد﴾. فتنوع البشر والاختلاف فيما بينهم سنةٌ اقتضاها الله سبحانه وتعالى في خلقه، ولا مبدل لسنن الله. قال تعالى: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾. وما كان للإسلام أن يقف في وجه سنن الله الثابتة، بل هو يتعامل معها باعتبارها واقع إرادة الله عز وجل.

أما الركيزة الرابعة، فتتمثل في توجيه الناس إلى التنافس في الخير بغية صرفهم عما يُثير الحزازات بينهم. فبعد أن نهى القرآن الكريم عن التخاصم في الأمور العقدية، ها هو يوجههم إلى البديل الذي يتحقق به تفريغ الطاقات على النحو الأمثل. قال تعالى: ﴿ولكلٍ وجهةٌ هو موليها فاستبقوا الخيرات﴾. فما ينبغي أن يشغل الناس جميعاً هو عمل الخير لا سواه، فبه يتحقق التفاهم بين الأديان، وبه يتحقق التعايش السلمي بين شعوب الأرض جميعاً.

ولأن الحرية في الإسلام كلٌ واحدٌ لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتخصص لفئة من الناس دون غيرها، فقد كفل الإسلام الحرية الشخصية للمسلمين وغير المسلمين. والقاعدة الفقهية التي سار عليها المسلمون في هذا الشأن هي «لهم ما لنا، وعليهم ما علينا»، عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة». وتتعدد مجالات الحرية الشخصية المكفولة لغير المسلمين ضمن ضوابط معينة حددها الشرع لضمان عدم الإخلال بالنظام العام. فلهم الحرية في إقامة الشعائر التعبدية، ولهم الحرية في الدعوة إلى دينهم والمُجادلة عنه، ولهم الحرية في الفكر والتعليم، ولهم الحرية في التنقل والسفر من بلد لآخر بغرض التجارة وسواها.

faisalsalim@hotmail.com

مفهوم الخير في الفلسفة بين التعريف والتمثيل

أسماء القطيبي

في مقاله بمجلة التفاهم «قيمة الخير بين أفلاطون والفلسفة الحديثة» يتناول الباحث سعيد بنتاجر مفهوم الخير بين الفلسفة القديمة المتمثلة في محاورات أفلاطون وتلامذته، والخير في الفلسفة الحديثة من خلال نظريات كانط ونيتشه وجورج إدوارد مور. وذلك من خلال تحديد معنى الخير وطبيعته، واختلافه في السياقين الفردي والاجتماعي. وتتمثل صعوبة البحث في هذا المدلول كون الحديث عن القيم يُعيدنا للتساؤل عمَّا إذا كانت القيم أصلا ذات وجود موضوعي مستقل أم أنَّها نابعة من الذات أو لأجل الذات، وعمَّا إذا كانت القيم الأخلاقية «ومنها الخير- نسبية أو مطلقة، وعن القيم الأسمى والقيم التابعة وغيرها من الإشكالات التي تناولها الفلاسفة عبر العصور من مناظير مُختلفة.

يُعد أفلاطون واحداً من أوائل الفلاسفة الذين جعلوا للخير مكانة مركزية في مباحثهم، وتصنف فلسفة أفلاطون ضمن فلسفة السعادة وهي الفلسفة الساعية لتحقيق السعادة للفرد وللمجتمع، حيث يرى أفلاطون أن السعادة يجب أن تتحقق أولاً بالعدالة في المدينة عن طريق سن نظام اجتماعي سياسي واقتصادي يضمن التعايش السلمي بين الأفراد في مختلف طبقاتهم (الحكام والمحترفين والحراس)، وهو ما ينعكس بالتالي على الفرد ويُحقق له السعادة. ولا يمكن بالطبع تحقيق العدالة إلا بوجود الخير كقيمة عُليا، ولتقريب الصورة فقد قسم أفلاطون العوالم إلى عالم حسي متمثل في الموجودات وعالم المُثُل الذي يتضمن جميع القيم والأخلاقيات. ولما أن كان من الصعب وضع مفاهيم للقيم فقد اعتمد أفلاطون في تقريب معانيها على المحسوسات وفي معرفة الخير يقول: « كما أن من الجائز عد النور والبصيرة شبيهين بالشمس لايجوز الاعتقاد أنهما هما الشمس، فكذلك المعرفة والحقيقة يجوز عدهما شبيهين بالخير، ولكن الاعتقاد أنهما الخير أمر غير مقبول» .ويرى الباحث سعيد بنتاجر أنَّه رغم أنَّ أفلاطون ينظر للخير من مفهوم ميتافيزيقي إلا أنَّه استحضره في السياق السياسي عند تصوره للمدينة الفاضلة مما أعطاه قيمة أخلاقية. كما أنَّ ذلك أعطى للخير نسبية وجعل منه وسيلة مرتبطة بالسعادة وقابلة للقياس طبقاً لحالة المدينة وأفرادها ومدى تعايشهم.

مع تطور العلوم وتعدد النظريات الفلسفية ظلت فكرة الخير التي صاغها أفلاطون حاضرة بقوة في تنظيرات ديكارت ومن جاء بعده. وفي مقال «قيمة الخير بين أفلاطون والفلسفة الحديثة» تناول الباحث سعيد بنتاجر مفهوم الخير لدى كانط ونيتشه ومور كونهم نظروا حول الخير من رؤى متعددة. فكانط مثلا اشترك مع أفلاطون في اعتبار الخير قيمة أخلاقية عُليا لكنه عد الخير صفة موجودة في الذات وليست موضوعاً مستقلاً يطلبه الإنسان. وهذا التصور هو امتداد لفلسفة كانط التي تجعل من العقل وحده «بغض النظر عن الظروف المحيطة- مصدر القانون الأخلاقي ومطبقه. وافترض أن «الإرادة الخيرة» هي القيمة التي تدفع الشخص للالتزام بالفعل الصحيح والتحلي بالأخلاق الفضلى. إن فلسفة كانط تعول على الوعي الذاتي وتفترض بأن الإرادة الحرة للإنسان كافية لوحدها لتحقيق السلام والعدالة واحترام القانون. ولأن الدافع الأخلاقي لا يجلب السعادة بالضرورة فقد سعى كانط لربط ذلك بالدين لتكوين ما يسمى بالخير الأسمى الذي يجمع العقل والعاطفة معاً.

يُعد نيتشه واحدا من أكثر الفلاسفة جرأة كونه استطاع نقد الفلسفة الأخلاقية لأفلاطون ومن بعده بنبرة واثقة. فقد كان نيتشه يرى أنَّ الفلسفة التقليدية تميل إلى الوهم أكثر من الحقيقة، كما أن معاييرها وتوجهاتها قيم مُعادية للحياة. وكون الخير نقطة محورية في الفلسفة التقليدية فقد انطلق نيتشه منها في نقده وفلسفته الجديدة؛ حيث ذكر نيتشه أنَّ القيم الأخلاقية ماهي إلا نقائص وضعها الضعفاء لتغطية نقائصهم وأجبروا الأقوياء على الاحتكام لها بدل الاحتكام إلى القيم التي تُعبر عنهم مثل القوة والتعالي. فمثلاً يرى نيتشه أنَّ الخير عند الضعفاء يُقابل الشر بينما عند الأقوياء يقابل الوضاعة، والفرق بين الوضاعة والشر كبير؛ لأن الشر يفترض الدناءة وإضمار الحقد بينما الوضاعة هي افتقاد للقيم النبيلة السامية كالكرم أو الشجاعة. ودعا نيتشه في فلسفته إلى الإقرار بوجود صراع بين نوعين من الأخلاق دون أن تكون هناك غلبة لأحدهما، وأن مهمة الفرد هي السعي للإنسان الأعلى بطريقته لا بالمعايير الصارمة التي حاول الفلاسفة القدماء تطبيقها على جميع أفراد المجتمع.

كما تناول المقال رأي الفيلسوف جورج إدوارد مور وهو أحد رواد الفلسفة التحليلية التي تعتمد على النقد. كان يرى أنَّ الخير مفهوم بسيط لايُمكن تعريفه وأن ربط الخير بالسعادة تارة وباللذة تارة أو غير ذلك هو مغالطة. ولأنَّ الخير مفهوم أساسي وغير مركب فإنَّ مور يعده رأس الأخلاق وأصلا تسعى جميع القيم للوصول إليه؛ لأنه كلما زادت القيمة زاد الخير. ويمكن التعرف على الخير من وجوده كمحمول أو صفة لغيره. ويفصل الباحث بنتاجر فلسفة مور في تطبيق الخير بقوله:« غير أن البعد التطبيقي لاينتمي إلى علم الأخلاق الذي اتخذ من مفهوم الخير موضوعاً له بل من فرع من فروعه وهو الأخلاق التطبيقية، وهو الذي يقوم على التصورات الأخلاقية ذات الطابع العملي التوجيهي للسلوك الإنساني بكيفيات مثل «الواجب» و«ينبغي» ومعايير السلوك الجيد والسيئ وغير ذلك. يثبت مور أن هذه الكيفيات تمثل القيم الوسيلية التي لاتكون قيماً إلا بما تحمله من خير وتؤدي به إلى الأمور الخيرة».

يبدو مفهوم الخير مفهوماً معقدًا حد عجز الفلاسفة عن وضع تعاريف له، لذا لجأ أغلبهم للتدليل عليه من خلال التشبيهات والاستعارات أو جعله كمحمول يستدل عليه من خلال أثره. وقد حاول الباحث بنتاجر شمل آراء أربعة فلاسفة في فترات زمنية متباينة حول الخير مما أجبره على العروج لتفرعات كثيرة تفسر النظريات الأساسية التي تنطلق منها فلسفات أفلاطون ونيتشه وكانط ومور. ومع ذلك فإنَّ المبحث متشعب أكثر مما يبدو بحيث من الأفضل إفراد مبحث لكل فلسفة على حدة لتأخذ نصيبها من الشرح والتوضيح.

asmaalqutibi@gmail.com

وَحده القصور الذاتي يهدد إنسانية الإنسان

هاجر السعدي

العصرُ الحديث بحاجة إلى سلام وتسامح وتقبل مع الآخر المختلف، مهما بدا اختلافه عن السائد والمألوف «فالمعرفة قيمة مطلوبة لذاتها، والحكم مرحلة ثانية تأتي بعد المعرفة، فإذا سبقتها كانت مصادرة على المطلوب وخللاً منهجياً واضحاً» كما أوضح الباحث محمد الحداد في مقاله «حوار الأديان وعقدة الاختلاف»، والمنشور بمجلة «التفاهم». وتعرضت الديانات تاريخيا للتأويلات والمحاججة في سبيل احتكار القوة والحقيقة المطلقة والمعرفة، رغم أنَّ الله واحد في جميع الديانات مع اختلاف التعبير عنه، والعمق الإنساني أصيل ومتشابه مع تعدد هذه الديانات.

وهذا ما يعني أنه لا توجد حقيقة مفادها نحن شعب الله المختار، وأن هذا الدين دين الحق ومصيرنا الجنة والدين الآخر المختلف باطل ومصيرهم النار؛ إذ جاء في العالم ديانات متعددة، وهي جميعها تعد محاولات تسعى إلى تقديم رؤية تحليلية للواقع -لغز الحياة- وذلك من خلال تقديمها للأسئلة الوجودية والمصيرية على شاكلة: ماذا بعد الموت؟ ولماذا أنا موجود؟ وما جدوى الآلام التي تتكبدها في الحياة؟ وعلى الرغم من وجود من «يذهب إلى أن لا بداية ولا نهاية، وإنما سيرورة وتحول وعبور من وجود إلى آخر، ومن حياة إلى أخرى في دورة لا تهدأ»، ومع تعدُّد الأديان واختلافها من حيث الممارسات والطقوس، فإنها تلتقي في محتوى العقيدة، وهي الإيمان بالله واليوم الآخر أي الثواب والعقاب، وتتقاطع جميعها في سبب وجودها وهو تعزية الإنسان وتقديم السلوى له من واقع وتناقضات ومشتتات الحياة، هذا ما يعني أنَّ الدين للحماية الإنسانية مهما بدا نوع وتاريخ الدين.

وهذا الهدف يسمو على واقع اليوم الذي يعاني من «صراع الجهالات وليس صراع الحضارات»، على حدِّ قول إدوارد سعيد.

وفي ظل تميز وتفرد كل دين بأفكاره فإننا نجد فيه دعوة حث إلى ضرورة الانفتاح على الآخر المختلف وتقبله، في سبيل تحقيق السلام والتسامح.. فأمير الشعراء أحمد شوقي اختزل هذا الفكرة في بيت شعري قائلا:

الكتب والرسل والأديان قاطبة ... خزائن الحكمة الكبرى لواعيها

والجدير بالإشارة أنَّ الحقيقة التي تفيد بأن الدين للحماية الإنسانية من المصير، جعلت منه نقطة ضعف الجموع وخضوع هذا الدين للتسييس من قبل الحكومات المستبدة والجماعات المتطرفة والمؤججة للحروب والصراع، وذلك في سبيل التحكم في الجموع ومصادرة حقوقهم وحرياتهم. وهذا ما جعل الحكومات تقوم بتوظيف ممثلين للأديان -ومنحهم مسميات رسمية- وجعلهم بمثابة مراجع للجموع، إلى جانب إبراز اهتمامها وجهودها لتوفير دور العبادة، وانشاء مدارس دينية بالرغم من أن الدين مسألة شخصية. ومن هنا، نجد الانقسام والصراع ونشوب الحروب باسم الانتماء إلى الدين الحق في الحياة، ونتج عن هذا تشكيل فرق وخلايا تنعت « بالإرهاب» يسهمون في تشويه حقيقة الأديان من خلال التطرف بالأفكار، ويشكلون خطرا كبيرا في استقرار المجتمعات -إيمانهم بتفردهم ولابد من مقاومة ومحاربة الآخر المختلف- ويعدون عائقا أمام التنمية والتطور الإنساني والمعرفي والحضاري. وفي حقيقة الأمر، هذا الصراع ليس صراعا بين الأديان وليس صراع حضارات، وإنما هو صراع إنساني نتيجة الأنا عند الإنسان وحب السيطرة والتحكم في الآخر وضرورات اللحظة والأيديولوجيا والولاء المطلق، كما يعد نتيجة للاختلاف والتعدد والتناقض. فالإنسان على حد وصف جان جاك روسو «المفترس الطيب».

والأستاذ الباحث محسن العوني في مقاله «الإرث الروحي العالمي والمشترك الإنساني الجامع»، يناشد جموع الأديان المختلفة أن تعيد النظر وقراءة الكتب المقدسة التي تخاطب الإنسان بصفة عامة، غير مخصصة فئة ما دون أخرى، ويستدل ذلك من القرآن الكريم في قوله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، متسائلا: ماذا لو أن هذه الأديان تعايشت وتساكنت، وعملت معا لما هو خير وأبقى. وفي الجانب الآخر نحن نشدد على نبذ الفروقات والاختلافات في سبيل خدمة الإنسانية والأخلاقيات الكبرى. وهذا ما يعكس حرصه على مستقبل البشرية مناشدا أن نقرأ الكتب المقدسة بلطف وود، فإذا احترم كل منا ديانة الآخر سوف تصبح دراسة الديانات نورا. كما أن جميع الأديان أوصت بهذه الفكرة مع اختلاف الأسلوب مستدلا على ذلك بالنصوص التي جاءت في كل ديانة على سبيل المثال: في الإسلام «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وفي المسيحية: «كل ماتريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم»، وفي اليهودية: «لاتفعل بجارك ما تكرهه أنت؛ هذا هو كل التوراة والباقي تفاصيل»، وفي البوذية: «لا تؤذ الآخرين بأشكال تجدها أنت مؤذية لنفسك»، وفي عقيدة السيخ: «عامل الآخرين كما تعامل نفسك»... إلخ، هذا ما يؤكد ويعزز فكرة الباحث محسن العوني في مقالته.

إنَّ الإرث الروحي الإنساني يُخبئ قيما إنسانية أصيلة وجوهرية تعزز قيم الوصل والجمع بين الناس، وتقبل الاختلاف والانفتاح على الآخر.

وفي هذا السياق، نتساءل عن مبدأي الانفتاح والاختلاف: هل الانفتاح أمر يصعب على الإنسان؟ وما هي عوامل وجود الإنسان المنفتح على الآخر، وفي المقابل عوامل وجود المتعصب ذي الرؤية الأحادية؟ ولماذا نجد أنَّ الإنسان يحارب المختلف عنه وغير المألوف بالنسبة إليه؟ وما هي الأدوات لجعل الإنسان منفتحا على الآخر ومتقبلا لاختلافه في الوقت الراهن؟ كلُّ هذه الأسئلة تقودنا للتأمل وتحليل طبيعة وتكوين الإنسان من مختلف النواحي النفسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية، وفي حقيقة الأمر نجد أنَّ الإنسان يتشدد تجاه كل فكرة أو معتقد أو تقليد نشأ عليه، وهناك تاريخ ما يُعزز هذا التعصب والتطرف. هذا ما يعني أن الإنسانية مهددة بفعل القصور الذاتي وليس الدين الذي ينتمي إليه، كما يحاول الإعلام أن يبثه لنا؛ فالأديان بريئة من كل هذه التهم. وفي الجانب الآخر؛ يتعين علينا الوعي والإدراك بأن الاختلاف والتنوع هو سنة كونية تؤدي إلى إذكاء الحيوية وإضفاء طابع ديناميكي للحياة.

وهنا، يُمكننا التعويل على التربية والتعليم من خلال تضافر جهود الأسرة ومنظومة التعليم. وفي ظل الزخم والتنوع الذي أحدثته ثورة التكنولوجيا والمعلومات، لا يمكن لأفراد من ذوي الرؤية الأحادية البقاء، فقانون الطبيعة هو البقاء للأقوى، وصفة الأقوى وفقا للظروف الآنية تأتي لصالح الأفراد الأقوى معرفيا وليس حتى ماديا. يمكن للإنسان أن يحقق الحياة المنشودة التي تتسم بالسلام والتسامح والإخاء الإنساني والهدوء من خلال هذا الثراء. وهذا يتطلب كما أشرت أعلاه إلى تضافر جهود منظومة الأسرة، وذلك من خلال إعادة النظر في الأفكار التربوية، والمعتقدات والعادات التي تشكل نتاج المجتمع؛ بحيث أنَّ تربية الأجيال تقوم على منوال التربية على حقوق الإنسان.

وكذلك لابد من منظومة التعليم أن تُعيد النظر في المساقات التعليمية، لاسيما المساق المتعلق بتعليم الديانة، ولابد من حضور لغة التسامح وغرس احترام الاختلاف بين الديانات وتعددها عند النشء الجديد -في المؤسسات التعليمية والمجتمع على حد سواء- لا سيما المنتمية إلى الطبقة التي تتسم بانخفاض الوعي والمستوى المادي؛ لأنهم يشكلون فئة جاذبة للحكومات المستبدة والجماعات الإرهابية. وعلينا التذكير بقول الله تعالى: «وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم» مهما اختلفت الممارسات والشعائر الدينية.

hajirwork@outlook.com